

(٤٨)

باب قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلَنُنِثِّيَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥٥﴾ [نصت: ٥٠]).

نقش: ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في معنى هذه الآية وما بعدها ما يكفي في المعنى ويشفي.

قال المصنف رحمه الله تعالى: قال مجاهد: هذا بعملِي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي. وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القمر: ٧٨].

قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

نقش: وليس فيما ذكره اختلاف وإنما هي أفراد المعنى.

قال العماد ابن كثير رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩] يخبر أن الإنسان في حالة الضر يضرع إلى الله تعالى وينيب إليه ويدعوه، ثم إذا حوله نعمة منه طغى وبغى و﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [القمر: ٧٨] أي لما يعلم الله من استحقاقه له، ولولا أني عند الله خصيص لما حولني هذا. قال تعالى: ﴿بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩] أي ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصى؟ مع علمنا المتقدم بذلك ﴿بَلْ هِيَ فَتْنَةٌ﴾ [الزمر: ٤٩] أي: اختبار ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩] فلهذا يقولون ما يقولون، ويدعون ما يدعون: ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٠] أي: قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: ٨٤] أي: فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم، وما كانوا يكسبون. كما قال تعالى مخبراً عن قارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ٧٦﴾ وَأَبْنَىٰ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الْبَارَ الْآجِرَةَ وَلَا تَسْكَنْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُونِهِمْ الْمُتَجَرِّبُونَ ٧٨﴾ [القمر: ٧٦-٧٨] وقال تعالى:

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [سبا: ٣٥] انتهى .

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً. فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قدرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قدره، فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق - فأعطي ناقهً عشاء، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قدرني الناس به. فمسحه، فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً. قال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقرة أو الإبل، فأعطي بقرة حاملاً. فقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله عليّ بصري، فأبصر به الناس. فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاةً والدًا، فأنتج هذان، ووُلد هذا. فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفرى هذا، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلغ به في سفرى، فقال: الحقوق كثيرة! فقال له: كاني أعرفك، ألم تكن أبرص يقدرُك الناس، فقيراً، فأعطاك الله المال؟ فقال: إنما ورثتُ هذا المال كابراً عن كابر، قال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأنى الأقرع في صورته وهيته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال له: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال: فأتى الأعمى في صورته وهيته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل. قد انقطعت بي الحبال في سفرى. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفرى، فقال: قد كنت أعمى فرد الله علي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتكم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» أخرجاه ^(١)).

لشئ: (أخرجاه) أي البخاري ومسلم.

والناقة العشاء - بضم العين وفتح الشين وبالمد - هي الحامل.

قوله: (أنتج) وفي رواية: فنتج معناه: تولي نتاجها، والنتاج للناقة كالقابلة للمرأة.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، حديث (٣٤٦٤)، ومسلم، كتاب: الزهد والرقائق، حديث (٢٩٦٤).

قوله : (ولد هذا) هو بتشديد اللام، أي تولى ولادتها، وهو بمعنى : أنتج في الناقة، فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره .
 وقوله : (انقطعت بي الجبال) هو بالحاء المهملة والباء الموحدة، هي الأسباب .
 وقوله : (لا أجهدك) معناه : لا أشق عليك في رد شيء تأخذه، أو تطلبه من مالي ذكره النووي .

وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر : فإن الأولين جحدوا نعمة الله، فما أقر الله بنعمة، ولا نسبوا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله فيها بنعمه، فحل عليهما السخط .
 وأما الأعمى : فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها . وهي : الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب .
 قال العلامة ابن القيم رحمه الله : أصل الشكر : هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلاً بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضاً، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدوا كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها . ومن عرف النعمة والمنعم، وأقر بها ولم يجحدوا، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرض به وعنه، لم يشكرها أيضاً، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضى به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها، فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبه والخضوع له .
 قوله : (قذرنى الناس) بكراهة رؤيته وقربه منهم .

